(٣٨) خطبة له ﷺ فى التذكير بيوم الحشر وما فيه من أسرار

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يخطب على المنبر، يقول:

« **إنَّكُم مُلاَقُو اللهَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**[١] » . . وزاد فى رواية: «**مُشَاةً**».

وفى رواية، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال:

«**يا أيُّها النَّاس .. إنَّكم مَحشُورون إلى الله حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً..**

﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[٢].

ألا وإنَّ أوَّلَ الخَلاَئقِ يُكْسَى: إبراهيمُ عليه السلام[٣]، **ألاَ وإنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتى فيؤخذُ بهِمْ ذاتَ الشِّمالِ**[٤]، **فأقولُ: يا ربُّ.. أصْحَابى، فيقولُ: إنَّكَ لا تَدْرِى ما أحْدَثوا بَعْدَك**[٥]؟ **فأقولُ كَمَا قالَ العبدُ الصَّالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ...﴾**[٦] **إلى قوله:**

---

(١) الغرل - بضم الغين المعجمة وإسكان الراء -: جمع أغرل، وهو الأقلف.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٣) فإنه خليل الرحمن وخير البرية بعد نبينا - عليهما الصلاة والسلام.

(٤) يعنى: إلى ناحية الشمال تمييزاً لهم وذلك بسبب إحداثهم فى الدين وكفرهم بعد إيمانهم.

(٥) من الفتن والأهواء . . التى فرقوا بها دينهم.

(٦) «ما»: مصدرية ظرفية، أى: مدة وجودى فيهم قبل أن ترفعنى إليك.

﴿ **الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(١). قال : **فَيُقَالُ لى إنَّهم لَمْ يزَالوا مُرْتَدِّين عَلَى أعقابِهم منذُ فَارَقْتَهُمْ**»(٢).

وزاد فى رواية : « **فأقولُ سُحْقاً سُحْقاً** »(٣).

(رواه البخارى، ومسلم، ورواه الترمذى والنسائى بنحوه)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت : سمعت رسول الله ﷺ، يقول :

« **يُحْشَرُ النَّاسُ**(٤) **حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**(٥) » . قالتْ عائشة : فقلتُ : الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض(٦) ؟ . **قال** : « **الأمْرُ أشدُّ منْ أنْ يهمَّهم ذلكَ**»(٧).

وفى رواية : « **مِنْ أنْ ينظرَ بعضُهم إلى بعضٍ**».

(رواه البخارى، ومسلم، والنسائى، وابن ماجه)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ، يقول :

---

(١) سورة المائدة : ١١٧، ١١٨.

(٢) أى : لم يزالوا راجعين عن طريق الحق والصواب مائلين إلى طرق الغواية والضلال.

(٣) أى : بعداً بعداً، ومنه مكان سحيق، أى : بعيد.

(٤) أى : يساقون إلى موقف القيامة . . وأصل الحشر : الجمع.

(٥) أى : على هيئتهم التى خلقوا عليها أول مرة كما ولدتهم أمهاتهم فلا نعال ولا ثياب ولا ختان.

(٦) يعنى : أيحشر الرجال والنساء جميعاً على تلك الهيئة فينظر بعضهم إلى عورة بعض؟.

(٧) يعنى : أن شدة الهول والفزع فى ذلك اليوم جعلهم لا يلقون بالاً لمثل هذه الأمور.

«**يُحشرُ النَّاسُ يومَ القيامة عراةً حفاةً**». فقالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله.. وا سوأتاه [1] ينظر بعضنا إلى بعض؟. فقال: «**شُغِلَ النَّاسُ**»[2]. قلت: ما شَغَلَهُمْ؟. قال:

«**نَشْرُ الصَّحَائِفِ فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّرِّ، ومَثَاقِيلُ الخَرْدلِ**»[3].

(رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح)

في هذه الخطب، أو هذه الأحاديث يذكِّرنا النبي ﷺ بحقيقة مهمة يجب أن لا تغيب أبداً عن عقولنا وقلوبنا، وهي أننا جميعاً سنُحشَرُ يوم القيامة كيوم ولدتنا أمهاتنا:

﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾[4].

وهذا معناه أن الإنسان العاقل هو الذي يذكر ذلك حتى يكون دائماً وأبداً متواضعاً لله تعالى حتى يرفعه الله تعالى إلى الدرجة التي بها يكون أهلاً لرحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

---

(١) أي: وا عورتاه، ووا فضيحتاه.. فهو منصوب على الندبة. والسوءة: العورة والفاحشة والخلة القبيحة.

(٢) أي: نزل بهم ما شغلهم عن التفكير في ذلك الميل الجنسي بين الرجال والنساء.

(٣) يعني: أن صحفهم التي يعطونها في هذا اليوم قد أحصى فيها كل صغير وكبير من أعمالهم كما قال تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**﴾. [الكهف: ٤٩]

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٤.

وإذا كان الإنسان العاقل سيذكر هذا، فإنه لن يكون من هؤلاء المزهوِّين بأنفسهم بتلك الصورة التى نراها فى كثير من الناس، والتى إن دلَّتْ على شىء فإنما تدلُّ على أن هؤلاء لا يذكرون نهايتهم، ولا يذكرون أمهم الأرض التى مصيرهم إليها :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(١).

ثم إذا كان الرسول ﷺ، قد أشار بعد ذلك إلى أنه سيجاء برجال من أمته فيؤخذ بهم ذات الشمال.. فيقول صلوات الله وسلامه عليه :

«يا رَبِّ .. أصْحَابى. فيقولُ اللهُ تَعالَى : إنَّكَ لا تَدْرِى ما أحْدَثُوا بَعْدَك».

فهذا معناه أنه لا بد لكى يكون الإنسان من أهل اليمين لا من أهل الشمال : لابد وأن يكون بعيداً عن كل المحدثات فى الدين، ففى الحديث الشريف :

« .. فَعَليكُمْ بسُنَّتِى وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدين المَهْدِيِّين، تَمَسَّكوا بِهَا، وعضُّوا عَلَيهَا بالنَّواجِذ، وإيَّاكم ومُحْدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ فى النَّار».

---

(١) سورة طه : ٥٥.

هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الذين أحدثوا بعد رسول الله ﷺ لن يشربوا من حوضه ﷺ ، فقد ورد أن النبى ﷺ قد قال مشيراً إلى هذا :

« **ألاَ لَيُذَادَنَّ رجالٌ عَنْ حَوْضِى كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ . أُنَاديهم : ألا هَلُمَّ، فيُقالُ : إنَّهم بَدَّلوا بَعْدَك، فأقولُ : سُحْقاً سُحْقاً** » .

(من حديث رواه مسلم)

فالخير كله فى الاتِّباع ، والشر كله فى الابتداع .

ثم إذا كان الرسول ﷺ قد أشار أيضاً إلى ما فى الموقف الكبير - يوم القيامة - من أهوال وشدائد ستجعل أهل الموقف فى شدّة تشغل كل واحد منهم عن مجرد النظر إلى عورة أخيه ، لأن الأمر سيكون أشد من ذلك : فلابد - إذن - أن يكون هناك استعداد لهذا اليوم الذى يقول الله تبارك وتعالى فيه :

﴿ **يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴾ (١) .

ويقول تعالى :

﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الانفطار : ١٩ .

(٢) سورة المطففين : ٦ .

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«يُحْشَرُ النَّاسُ على ثلاثِ طرائقَ[1] راغبينَ وراهبينَ، واثنانِ على بَعيرٍ، وثَلاثةٌ علَى بَعيرٍ، وأربعةٌ علَى بَعيرٍ، وعَشَرةٌ علَى بعيرٍ، ويَحْشُرُ بقيتهمْ النَّارُ. تَقيلُ مَعَهُمْ حيثُ قالوا، وتبيتُ معهم حيثُ بَاتُوا، وتُصْبِحُ مَعَهُمْ حيثُ أصْبَحوا، وتُمْسِي مَعَهُمْ حيثُ أمْسَوا» .

(رواه البخارى، ومسلم)

* * *

(١) جمع طريقة، وهى الحالة أو الصفة .